وترك معسكره ولما علم ناصر الدولة بالخبر سار عن بغداد إلى الموصل وترك إمارة الأمراء بعد أن أقام فيها ثلاثة عشرة شهراً وخمسة أيام.

اختار المتقي بعد رحيل ناصر الدولة لإمارة الأمراء أكبر قواد الديلم واسمه توزون ولم يكن عنده شيء من حسن السياسة فاستوحش منه المتقي وخافه على نفسه فرأى أن يسير إلى الموصل مستعيناً بالحمدانيين فبارح بغداد إليها ولما بلغ ذلك توزون تبعه حتى وصل تكريت وهناك التقى بسيف الدولة فقاتله وهزمه مرتين ثم استولى على الموصل فسار عنها بنو حمدان والمتقي معهم إلى نصيبين. ثم ترددت الرسل بين توزون من جهة وبين الحمدانيين والمتقي من جهة على الصلح فتم على أن يضمن ناصر الدولة ما بيده من البلاد ثلاث سنين كل سنة بثلاثة آلاف وستمائة ألف درهم وعاد توزون إلى بغداد ولم يعد معه المتقي بل استمر في الموصل. ثم أرسل إلى توزون يطلب منه أن يعود إلى بغداد فأظهر توزون الرغبة في ذلك وحلف للمتقي أنه لا يغدر به فاغتر المتقي بتلك اليمين. وسار إلى بغداد فلقيه توزون تحت هيت ولما رآه قبل له الأرض وقال: هأنذا قد وفيت بيميني والطاعة لك ثم وكل به وبعد ذلك سمله وخلعه وبذلك انتهت خلافة المتقي.

٢٢ ـ المستكفي

هو أبو القاسم عبد الله المستكفي بالله بن المكتفي بن المعتضد.

لما قبض توزون على المتقي أحضر المستكفي إليه إلى السندية وبايعه هو وعامة الناس.

الخلافة العباسية تحت سلطان آل بويه.

يبتدىء هذا الدور من (سنة ٣٣٤) إلى (سنة ٤٤٧) تولى الخلافة فيه خمسة خلفاء وهم المستكفي والمطيع والطائع والقادر والقائم.

تاريخ هذا الدور يرتبط بتاريخ آل بويه الديلميين الذين كانوا أصحاب النفوذ الحقيقي والسلطان الفعلي في العراق لذلك أردنا أن نسوق فصلاً نبين فيه أحوال الديلم وكيف تصرفت بهم الأحوال إلى أن وصلوا إلى ذروة العظمة باستيلائهم على بغداد عاصمة الخلافة العباسية.

بلاد الديلم أو بلاد جيلان واقعة في الجنوب الغربي من شاطىء بحر الخزر سهلها للجبل وجبالها للديلم وقصبتها روزبار. . .

كانت في القديم إحدى الأيالات الفارسية إلا أن أهلها لم يكونوا من العنصر الفارسي بل عنصر ممتاز يطلق عليه اسم الديالمة أو الجيل. ولما أذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالانسياح في بلاد العجم كانت بلاد الديلم مما فتحه المسلمون واستمر الديلم خاضعين للحكم الإسلامي مع بقائهم على وثنيتهم ولم يكن استيلاء المسلمين عليهم مما ينقص من شجاعتهم أو

يفقدهم جنسيتهم. وكانت تجاورهم بلاد طبرستان وأكثر أهلها دانوا بالإسلام وكان بين الديالمة والطبريين سلم وموادعة.

على هذا كان الحال في صدر الدولة العباسية فلا الديالمة تحدثهم أنفسهم بالخروج إلى بلاد المسلمين ولا المسلمون يحدثون أنفسهم بالتوغل في بلادهم حتى كانت حادثة إقطاع المستعين محمد بن طاهر تلك الفظائع التي يقرب بعضها من ثغور طبرستان وأراد رسول ابن طاهر أن يستلمها ومعها الأرض التي كانت مرافق لأهل تلك النواحي فامتنع من ذلك أهل طبرستان وأظهروا العصيان لمحمد بن طاهر ورأوا أن ذلك لا يتم إلا أن يكون على رأسهم رجل يدينون بطاعته فاتفقوا على الحسن بن زيد الذي قدمنا حديثه في خلافة المستعين وكان مقيماً بالري فراسلوه فأقبل إليهم فبايعوه وطلبوا من الديلم أن يساعدوهم على عمال ابن طاهر فبذلوا لهم ما طلبوا من المساعدة لإساءة كانت من عمال ابن طاهر إليهم. استولت هذه القوة على مدن طبرستان ثم الري وجرجان ولم يزل الحسن مدبر أمرهم حتى مات (سنة ٢٧١) ثم ولي أخوه محمد بن زيد وكانت مدته مضطربة حتى قتل (سنة ٢٨٧) وكان وجود الحسن بن زيد وأخيه في تلك البلاد سبباً لمواصلة أهل الديلم وشيوع الدعوة الإسلامية بينهم.

بعد ذلك دخل بلاد الديلم الحسن بن علي الملقب بالأطروش وأقام بينهم ثلاث عشرة سنة يدعوهم إلى الإسلام ويقتصر منهم على العشر ويدفع عنهم عدوهم فأسلم منهم خلق كثير واجتمعوا عليه وبنى في بلادهم المساجد. وكان لآل سامان بإزائهم ثغور مثل قزوين وسالوس وغيرهما وكان بمدينة سالوس حصن منيع فهدمه الحسن لما أسلم الديلم والجيل ـ ثم إنه جعل يدعوهم إلى الخروج معه إلى طبرستان فلا يجيبونه لإحسان عبد اللّه بن محمد بن نوح الذي كان أميراً على تلك الجهات من قبل آل سامان فاتفق أن أحمد السامانى عزل عبد اللّه وولى بدله آخر اسمه سلام فلم يحسن سياسة أهلها فهاج عليه الديلم فقاتلهم وهزمهم واستقال من الولاية فأعاد أحمد السامانى عبد اللّه بن محمد بن نوح فصلحت البلاد ـ ولما مات جاءها وال غير رسومه وأساء السيرة وقطع عن رؤساء الديلم ماكان يهديه إليهم ابن نوح فانتهز الحسن بن علي الفرصة وهيج الديلم عليه ودعاهم إلى الخروج معه فأجابوه وخرجوا معه حتى التقوا بأمير طبرستان فهزموه واستولوا على طبرستان وكان أكبر معينيه ليلى بن النعمان وماكان بن كالي الديلميان وكانا من عظماء الديلم وقوادهم استوليا على طبرستان وجرجان باسم الحسن بن علي الأطروش. وممن عرف اسمه في تلك الوقائع الحسن ابن القاسم الداعي العلوي وكان ختن الأطروش.

وتوفي الأطروش (سنة ٣٠٤) وكان يلقب بالناصر للّه وكان له من الأولاد الحسن

وأبو القاسم والحسين وكان الحسن مغاضباً له فلم يوله شيئاً وولى ابنيه الآخرين فكانت طبرستان في أيديهم بمعونة الحسن بن القاسم الداعي.

وفي (سنة ٣٠٩) قتل ليلى بن النعمان أحد قواد الزيدية وكان يلي بلاد جرجان وكان أولاد الأطروش يكاتبونه المؤيد لدين الله المنتصر لآل رسول الله ﷺ ليلى بن النعمان وكان سبب قتله أنه سار إلى نيسابور بأمر الحسن بن القاسم يريد الاستيلاء عليها وكانت بيد السامانية فكان في هذه الإغارة حتفه وانهزام جنوده ثم تقدمت جنود السامانية إلى جرجان وبها أبو الحسين بن الناصر فانهزم عنها إلى استراباذ ثم فارقها وقصد مدينة سارية وجعل على استراباذ ماكان بن كالي وهو ثاني القواد المشهورين من الديلم بعد ليلى بن النعمان فاجتمع إليه الديلم وقدموه وأمروه عليهم وكان على يديه إعادة جرجان من الجنود السامانية فأقام بها.

وكان من أصحاب ماكان قائد ديلمي اسمه أسفار بن شيرويه وكان سيىء الخلق والعشرة فأخرجه ماكان من عسكره فاتصل بأمير نيسابور للسامانية وهو بكر بن محمد بن اليسع فأكرمه بكر وسيره إلى جرجان ليأخذها من يد أبي الحسن ابن كالي أخي ماكان وكان أخوه قد ولاه عليها وذهب إلى طبرستان. وكان أبو الحسن قد اعتقل أبا علي بن الأطروش عنده فتمكن أبو علي من الخلاص من هذا الاعتقال واغتال أبا الحسن ماكان وأرسل إلى جماعة القواد يخبرهم بمقتله ففرحوا وبايعوا العلوي وألبسوه القلنسوة وكاتبوا أسفار بن شيرويه وعرفوه الحال واستقدموه إليهم فسار إلى جرجان وضبطها وجاءه ماكان يحاربه فهزمه أسفار وصادف أن مات أبو علي ابن الأطروش وصفت جرجان لأسفار وأسفار هذا هو ثالث قواد الديلم. ولما تمكنت قدمه بجرجان أرسل لمرداويج بن زيار الجيلي يستدعيه فحضر عنده وجعله أمير الجيوش وأحسن إليه ثم قصدا طبرستان فاستوليا عليها فعلم بذلك الحسن بن القاسم الداعي وهو بالري ومعه ماكان بن كالي فسار نحو طبرستان والتقى بأسفار عند سارية فانهزم الحسن وماكان ثم أدرك الحسن فقتل وبقتله صفت لأسفار طبرستان والري وجرجان وقزوين وزنجان وأبهر وقم والكرج ودعا لصاحب خراسان وهو السعيد بن نصر السامانى وأقام بسارية ثم استولى على قلعة الموت وهي قلعة على جبل شاهق في حدود الديلم.

عظمت جيوش أسفار وجلّ قدره فتجبر وعصى على الأمير السعيد صاحب خراسان وأراد أن يجعل على رأسه تاجاً وينصب سرير ذهب للسلطنة ويحارب خليفة بغداد المقتدر بالله فسير إليه المقتدر جيشاً فحاربه أسفار وانتصر عليه ولما علم السعيد بذلك سار من بخارى حاضرة ملكه ليحارب أسفار ويأخذ بلاده فلما علم أسفار بوصول السعيد إلى نيسابور أدرك أنه لا يمكنه أن يقاومه فراسله في الصلح واتفقا على شروط منها حمل الأموال والخطبة باسمه في بلاده.

وبينما هو في ذروة عزه قام عليه أكبر قواده مرداويج بن زيار وشق عصا طاعته واتحد مع سلار صاحب شميران وتحالفا وتعاقدا على التساعد على حرب أسفار. ومن حسن حظ مرداويج أن أكثر قواد أسفار كانوا ملوه لجبره وظلمه فسرعان ما أجابوا مرداويج حين أعلمهم بأمره وكانت نتيجة هذا الاتفاق أن قتل أسفار (سنة ٣١٦).

ملك البلاد مرداويج وأحبته الجنود لحسن سيرته واتسعت رقعة ملكه وعمل له سريراً من ذهب يجلس عليه وسريراً من فضة يجلس عليه أكابر قواده وإذا جلس على السرير يقف عسكره صفوفاً بالبعد عنه ولا يخاطبه أحد إلا الحجاب الذين رتبهم لذلك وخافه الناس خوفاً شديداً ودخلت في حوزته طبرستان وجرجان واجتهد ما كان بن كالي أن يدافعه عنهم واستعان بكل وسيلة فلم يقدر وأقبلت الديلم إلى مرداويج من كل ناحية لبذله وإحسانه إلى جنده فعظمت جيوشه وكثرت عساكره فكثر الخرج عليه فلم يكفه ما في يده فذهب إلى همذان واستولى عليها من يد جنود الخليفة وبذلك تم له الاستيلاء على بلاد الجبل كلها وبلغت عساكره إلى نواحي حلوان وهي أول حدود العراق.

ثم ملك بعد ذلك أصبهان والأهواز وأرسل إلى المقتدر رسولاً يقرر على نفسه مالاً على هذه البلاد كلها فأجابه المقتدر إلى ذلك وقوطع على مائتي ألف درهم كل سنة.

في (سنة ٣٢٠) أرسل مرداويج إلى أخيه وشمكير وهو ببلاد جيلان يستدعيه إليه فجاءه واعتز به. والمؤرخ أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي يؤكد في كتابه الموسوم بالآثار الباقية عن القرون الخالية الذي ألفه باسم شمس المعالي قابوس ابن وشمكير أن هذه الأسرة من أصل شريف الطرفين فأما أحد الأصلين فوردانشاه الذي لا تجهل سيادته في الجبل وأما الأصل الآخر فملوك الجبال الملقبون بأصفهبذية طبرستان والقرجوار جرشاهية وليس ينكر اعتزاء من كان منهم من أهل بيت الملك إلى ما يجمعهم والأكاسرة في شعب واحد فإن خاله هو الأصفهبذ رستم بن قارن بن شيرويه بن رستم بن قارن بن شهريار بن شروين بن سرخاب بن شابور بن كياس بن قباذ والد أنوشروان.

ولما استقرت قدم مرداويج قدم عليه ثلاثة نفر من أعيان الديلم كانوا من قواد ماكان بن كالي وفارقوه لما ضاقت بهم الحال وهم علي والحسن وأحمد أولاد بويه ساروا إلى مرداويج ومعهم جماعة من قواد ماكان. وهؤلاء الثلاثة هم الذين أسسوا الأسرة البويهية التي امتلكت ناصية بلاد العراق وما يحيط بها من البلاد الإسلامية وهي التي تكون الدور الثاني من أدوار الخلافة العباسية ولما ارتفع شأنهم ظهر لهم ذلك النسب العالي فقد ذكر أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي في كتابه الذي سماه بالتاج أن بويه ينتهي نسبه إلى بهرام جور الملك والبيروني السابق ذكره يرجح أن

هذا النسب إنما ظهر لهم بعد ثبوت ملكهم وإلا فتلك الأمم ليست معروفة بحفظ الأنساب ولا مذكورة بتخليد ذلك ولا بأنها كانت تعرف ذلك منهم قبل انتقال الدولة إليهم مع أنه فيما سبق يرجح صحة نسب أخوال وشمكير ويسوقها نسقاً حتى يصل بها إلى قباذ ملك الفرس.

لما ورد أبناء بويه على مرداويج خلع على علي والحسن وولى القواد الذين وصلوا معهما النواحي وولى علي بن بويه بلاد الكرج وكتب لهم بذلك العهود فساروا إلى الري وبها وشمكير أخو مرداويج ومعه وزير مرداويج الحسين بن محمد الملقب بالعميد. صادف أن كان مع ابن بويه بغلة شهباء من أحسن ما يكون فعرضها للبيع فبلغ ثمنها (٢٠٠) دينار فعرضت على العميد فأخذها ونقد ثمنها فلما حمل إلى علي أخذ منه عشرة دنانير ورد الباقي ومعه هدية جميلة فكان ذلك بدء الصلة بين العميد وآل بويه.

ندم مرداويج بعد انفصال هؤلاء القواد على توليتهم فكتب إلى أخيه وشمكير وإلى العميد يأمرهما بمنع أولئك القواد عن المسير إلى أعمالهم وإن كان بعضهم قد خرج يرد وكانت الكتب تصل إلى العميد قبل وشمكير فيقرؤها ثم يعرضها على وشمكير فلما وقف العميد على هذا الكتاب أنفذ إلى علي بن بويه يأمره بالمسير من ساعته إلى عمله ويطوي المنازل فسار من ساعته ولما أصبح العميد عرض الكتاب على وشمكير فمنع سائر القواد من الخروج من الري واستعاد التوقيعات التي كانت معهم وأراد أن ينفذ خلف علي بن بويه من يرده فقال العميد: إنه لا يرجع طوعاً وربما قاتل من يقصده ويخرج من طاعتنا فتركه. وصل علي الكرج وأحسن إلى الناس ولطف بعمال البلاد فكتبوا إلى مرداويج يشكرونه ويصفون ضبطه للبلد وحسن سياسته، وافتتح قاعات كانت للخرمية وظفر منها بذخائر كثيرة صرفها جميعاً إلى استمالة الرجال والصلات والهبات فشاع ذكره وقصده الناس وأحبوه. ولما كان مرداويج بالري أطلق مالاً لجماعة من قواده على الكرج فاستمالهم علي بن بويه ووصلهم وأحسن إليهم حتى مالوا إليه وأحبوا طاعته وبلغ ذلك مرداويج فاستوحش وندم على إنفاذ أولئك القواد فكتب إليهم وإلى علي يستدعيهم إليه وتلطف بهم ودافعه علي واشتغل بأخذ العهود عليهم وخوفهم سطوة مرداويج فأجابوه جميعاً فجيء على مال الكرج واستأمن إليه شيرازاد وهو من أعيان قواد الديلم فقويت نفسه وسار بمن معه إلى أصبهان فاستولى عليها من يد المظفر بو ياقوت. بلغ ذلك الخليفة فاستعظمه وبلغ مرداويج فأقلقه وخاف على ما بيده من البلاد واغتم لذلك غماً شديداً ولكن رأى أن يحتال فراسل علياً يعاتبه ويستميله ويطلب إليه أن يظهر طاعته حتى يمده بالعساكر الكثيرة ليفتح بها البلاد ولم يكلفه سوى الخطبة له في البلاد التي يستولي عليها وجهز بعقب تلك الرسالة أخاه وشمكير في جيش كثيف ليكبس علياً وهو مطمئن إلى الرسالة المتقدمة فعلم بذلك فرحل عن أصبهان بعد أن جباها

شهرين وتوجه إلى أرجان وبها أبو بكر بن ياقوت فانهزم عنها أبو بكر من غير قتال وقصد رامهرمز فاستولى علي على أرجان في ذي الحجة (سنة ٣٩٠) فاستخرج منها أموالاً قوي بها. جاءته وهو بها كتب من أبي طالب زيد بن علي النوبندجاني يستدعيه ويشير عليه بالمسير إلى شيراز ويهون عليه أمر ياقوت وأصحابه ويعرفه بتهوره واشتغاله بجباية الأموال وكثرة مؤونته ومؤونة أصحابه وثقل وطأتهم على الناس مع فشلهم وجبنهم فتردد علي أولاً ثم عزم على السير فسار نحو النوبندجان في ربيع الآخر (سنة ٣٢١) فلقي بها مقدمة ياقوت فهزمها ثم سار منها إلى إصطخر خوفاً أن يقع بين ياقوت ومرداويج لأنه بلغه أنهما تراسلا ليتفقا عليه فقابله في الطريق ياقوت بجيوشه فكان النصر لعلي وانهزم ياقوت هو ومن معه وكان أحمد بن بويه ممن ظهر أثره في ذلك اليوم وهو صبي لم تنبت لحيته وكان عمره (١٩ سنة). وبعد هذا الانتصار عامل علي الأسرى أحسن معاملة وخيرهم بين المقام عنده واللحاق بياقوت فاختاروا المقام عنده فخلع عليهم وأحسن إليهم ثم سار حتى أتى شيراز قصبة فارس فاستولى عليها ونادى في الناس بالأمان وبث العدو وأقام لهم شحنة تمنع ظلمهم واستولى على كثير من أموال ياقوت وودائعه فسهلت عليه أمر استرضاء الجنود والتودد إليهم فأحبوه وثبت ملكه ثم أرسل إلى خليفة بغداد الراضي باللّه وإلى وزيره ابن مقلة يعرفهما أنه على الطاعة ويطلب أن يقاطع على ما بيده من البلاد وبذل ألف ألف درهم فأجيب إلى ذلك وأنفذت إليه الخلع واللواء.

ولما بلغ مرداويج ما ناله ابن بويه قام لذلك وقعد وسار إلى أصبهان للتدبير عليه وبها أخوه وشمكير فرأى أن ينفذ عسكراً إلى الأهواز للاستيلاء عليها ويسد الطريق على ابن بويه إذا قصده فلا يبقى له طريق إلى الخليفة ويقصده هو من ناحية أصبهان ويقصده عسكره من ناحية الأهواز فلا يثبت لهم. فسارت عساكر مرداويج حتى بلغت أيذج في رمضان ثم استولت على رامهرمز في شوال (سنة ٣٢٢) ثم استولت على الأهواز وأجلت عنها ياقوتاً. بلغ ابن بويه أن مرداويج استولى على الأهواز فكاتب نائبه يستميله ويطلب منه أن يتوسط بينه وبين مرداويج ففعل واستقر الأمر بينهما على أن ابن بويه يخطب لمرداويج وأهدى له ابن بويه هدية جميلة وأنفذ له أخاه الحسن رهينة.

من حسن حظ ابن بويه أن مرداويج قتل بعد ذلك (سنة ٣٢٣) تمردت عليه جنوده الأتراك لأنه كان كثير الإساءة إليهم ويفضل عليهم الديالمة الذين هم من عنصره فاتفقوا على اغتياله ففعلوا وكان رؤساء المتألبين عليه من الأتراك بجكم وتوزون وهما اللذان ذكرنا أنهما إمرة الأمراء بالعراق وباروق وابن بغرا ومحمد بن بنال الترجمان. ولما تم لهم ما أرادوا تفرق الجيش فأما الأتراك فافترقوا فرقتين فرقة منهم لحقت بابن بويه وفرقة سارت نحو الجبل مع بجكم. وأما الديلم فذهبوا

إلى وشمكير بالري وأطاعوه. وكان من نتيجة قتل مرداويج أن يخلص الحسن بن بويه الذي كان رهينة عنده وسار إلى أخيه بفارس.

صارت القوى الكبرى ببلاد العجم ثلاثاً قوة علي بن بويه بفارس وقوة وشمكير ابن شيرويه بالري وقوة السامانية بخراسان وما وراء النهر. أما ياقوت الذي كان بالأهواز فضعفت قوته جداً حتى لم تعد قادرة على حفظ ما معها فضلاً عن مصادمة غيرها أما القوة الحية النامية فهي قوة ابن بويه. سير أخاه الحسن إلى بلاد الجبل ومعه العساكر فاستولى على أصبهان وأزال عنها وعن عدة من بلاد الجبل نواب وشمكير وبقي ووشمكير يتنازعان هذه البلاد وهي أصبهان وهمذان وقم وقاشان وكرج والري وكنكور وقزوين وغيرها حتى تم للحسن بن بويه الاستيلاء عليها بعد خطوب وحروب طويلة وانجلى عنها نواب وشمكير.

خطر ببال علي بن بويه أن يمد بويه سلطانه إلى الأهواز والعراق لما علمه من ضعف قوة الخليفة ببغداد وكان هو مشغولاً بإدارة إقليم فارس وأخوه الحسن مشغولاً ببلاد الجبل وأخوهما الأصغر لا شغل له فسيره على الأهواز فاستولى عليها بعد حروب بينه وبين بجكم الرائقي وانهزم بجكم إلى واسط.

كان من أهم مقاصد ابن بويه السير إلى العراق بعد الاستيلاء على واسط فصار أحمد بن بويه يسير إلى واسط ثم يعود عنها حتى كاتبه قواد بغداد يطلبون إليه المسير نحوهم للاستيلاء على بغداد فوصلها في (١١ جمادى الأولى سنة ٣٣٤) والخليفة بها هو المكتفي بالله فقابله واحتفى به وبايعه أحمد وحلف كل منهما لصاحبه هذا بالخلافة وذاك بالسلطنة وفي هذا اليوم شرف الخليفة بني بويه بالألقاب فلقب علياً صاحب بلاد فارس عماد الدولة وهو أكبرهم ولقب الحسن صاحب الري والجبل ركن الدولة ولقب أحمد صاحب العراق معز الدولة وأمر أن تضرب ألقابها وكناهم على النقود.

وهذا اليوم هو تاريخ الدور الثاني للخلافة العباسية وهو تاريخ سقوط السلطان الحقيقي من أيديهم وصيرورة الخليفة منهم رئيساً دينياً لا أمر له ولا شيء ولا وزير وإنما له كاتب يدبر إقطاعاته وإخراجاته لا غير وصارت الوزارة لمعز الدولة يستوزر لنفسه من شاء.

وكان يخطر ببال معز الدولة أن يزيل اسم الخلافة أيضاً عن بني العباس ويوليها علوياً لأن القوم كانوا شيعة زيدية لأن التعاليم الإسلامية وصلت إليهم على يد الحسن بن زيد ثم على يد الحسن الأطروش وكلاهما زيدي فكانوا يعتقدون أن بني العباس قد غصبوا الخلافة وأخذوها من مستحقيها ولكن بعض خواصه أشار عليه ألا يفعل وقال له: إنك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابك أنه ليس من أهل الخلافة ولو أمرتهم بقتله لقتلوه مستحلين دمه ومتى أجلست بعض

العلويين خليفة كان معك من تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته فلو أمرهم بقتلك لفعلوا فأعرض عما كان قد عزم عليه وأبقى اسم الخلافة لبني العباس وانفرد هو بالسلطان ولم يبق بيد الخليفة شيء ألبتة إلا أقطعه معز الدولة مما يقوم بحاجته.

كان السلطان في ذلك الوقت ببلاد الأندلس لبني أمية والقائم بالأمر منهم عبد الرحمٰن الناصر وقد لقب بأمير المؤمنين حينما وصلت خلافة بغداد إلى ما وصلت إليه من الضعف أمام الأتراك والديالمة الذين سال سيلهم ببغداد.

وببلاد إفريقية للعبيد الذين تأسست دولتهم على أنقاض الأغالبة والأدارسة والقائم بالأمر منهم إسماعيل المنصور وهو ثاني خلفائهم وكان يلقب بأمير المؤمنين.

وبمصر والشام للأخشيديين والأمير منهم أنوجور بن محمد الأخشيد وكانوا يخطبون باسم الخليفة العباسي.

وبحلب والثغور لسيف الدولة علي بن عبد اللّٰه بن حمدان الشيباني ويخطب باسم الخليفة العباسي.

وبالجزيرة الفراتية لناصر الدولة الحسن بن عبد اللّٰه بن حمدان الشيباني يخطب باسم الخليفة العباسي.

وبالعراق للديلم والسلطان منهم معز الدولة أحمد بن بويه ويخطب على منابره باسم الخليفة العباسي ثم باسم معز الدولة من بعده.

وبعمان والبحرين واليمامة وبادية البصرة للقرامطة ويخطبون باسم المهدي.

وبفارس والأهواز لعلي بن بويه الملقب عماد الدولة ويخطب باسم الخليفة العباسي وكان يلقب بأمير الأمراء لأنه أكبر بني بويه.

وبالجبل والري لحسن بن بويه الملقب ركن الدولة ويخطب باسم الخليفة العباسي وجرجان وطبرستان يتنازعهما وشمكير بن شيرويه وركن الدولة وآل سامان.

وبخراسان وما وراء النهر لآل سامان ومقر ملكهم مدينة بخارى ويخطبون على منابرهم باسم الخليفة العباسي.

هذه هي القرى الكبرى التي كانت لأسر ملوكية في الرقعة الإسلامية فقد تفرق هذا الملك الواسع تفرقاً غريباً بعد أن كان متماسك الأعضاء يرجع كله إلى حاضرة كبرى تجمع شتاته. ومما يستحق النظر أن العنصر العربي لم يبق له شيء من الملك إلا ما كان لناصر الدولة وأخيه سيف الدولة فإنهما من عنصر عربي ومع هذا فقد كان النفوذ والسلطان فيما يليانه من البلاد لقواد

من الأتراك ولم يكن لهما استقلال سياسي بل كان أمر بني بويه فوقهما وكانا يذكران اسم معز الدولة في الخطبة بعد ذكر الخليفة العباسي.

لم يمكث المستكفي في الخلافة بعد استيلاء معز الدولة إلا أربعين يوماً وخلع لأن معز الدولة اتهمه بالتدبير عليهم فصمم على خلعه، ففي الثاني والعشرين من جمادى للآخرة (سنة ٣٣٤) حضر الخليفة وحضر الناس ورسول صاحب خراسان ثم حضر اثنان من نقباء الديلم يصيحان فتناولا يد المستكفي فظن أنهما يريدان تقبيلها فمدها إليهما فجذباه عن سريره وجعلا عمامته في حلقه ونهض معز الدولة واضطربت الناس ونهبت الأموال وساق الديلميان المستكفي ماشياً إلى دار معز الدولة فاعتقل بها ونهبت دار الخلافة حتى لم يبق بها شيء وقبض على أبي أحمد الشيرازي كاتب المستكفي وكانت مدة المستكفي سنة واحدة وأربعة أشهر.

٢٣ ـ المطيع

هو الفضل المطيع لله بن المقتدر بن المعتضد فهو ابن عم المستكفي بويع بالخلافة ثاني عشر جمادى الآخرة (سنة ٣٣٤) (٢٩ يناير سنة ٩٤٦) ولم يزل خليفة إلى أن خلع في منتصف ذي القعدة (سنة ٣٦٣) (٧ أغسطس سنة ٩٧٤) فكانت مدته (٢٩ سنة) وخمسة أشهر غير أيام ولم يكن له من الأمر شيء والنفوذ في حياته للملوك من آل بويه وهم:

أولاً: معز الدولة:

وهو أحمد بن بويه فاتح العراق وكان أصغر إخوته وكان سلطان معز الدولة بالعراق مبدأ خرابه بعد أن كان جنة الدنيا فإنه لما استقرت قدمه فيه شغب الجند عليه وأسمعوه المكروه فضمن لهم أرزاقهم في مدة ذكرها لهم فاضطر إلى ضبط الناس وأخذ الأموال من غير وجوهها وأقطع قواده وأصحابه بالقرى جميعها التي للسلطان وأصحاب الأملاك فبطل لذلك أكثر الدواوين وزالت أيدي العمال وكانت البلاد قد خربت من الاختلاف وفي الغلاء والنهب فأخذ القواد القرى وزادت عمارتها معهم وتوفر دخلها بسبب الجاه فلم يمكن معز الدولة العود عليهم بذلك وأما الأتباع فإن الذي أخذوه زاد خراباً فردوه وطلبوا العوض عنه فعوضوا وترك الأجناد الاهتمام بمشارب القرى وتسوية طرقها فهلكت وبطل الكثير منها وأخذ غلمان المقطعين في الظلم وتحصيل العاجل فكان أحدهم إذا عجز الحاصل تممه بمصادراتها. ثم إن معز الدولة قد فوض حماية كل موضع إلى بعض أكابر أصحابه فاتخذه مسكناً فاجتمع إليه الإخوة وصار القواد يدعون الخسارة في الحاصل فلا يقدر وزير ولا غيره على تحقيق ذلك فإن اعترضه معترض صاروا أعداء له فتركوا وما يريدون، فازداد طمعهم ولم يقفوا عند غاية فتعذر على معز الدولة جمع ذخيرة تكون للنوائب والحوادث وأكثر من إعطائه غلمانه الأتراك والزيادة لهم في الأقطاع فحسدهم الديلم وتولد من ذلك الوحشة